﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾:

علّ «الحسنة» هنا هي الحياة الحسنة المحلّقة على العقيدة والنية والعمل، والسيئة خلافها، و﴿خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ﴾ هي أضعافها بادئة من عشرة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ . . .﴾[1] وهذه ضابطة ثابتة، وقد تزيد حسب مزيد الحسنة أثراً وكياناً كما في آيات، ولأن السيِّئة لا يجازى بها صاحبها إلّا العملية، دون سوء النية ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

فالحسنة المضاعفة الجزاء يعم الأعمال والنيات والطويات، والسيئة المكافحة تخص الأعمال دون النيات، وأما العقائد السيئة فبارزة الأعمال فيها داخلة في الأعمال، وسيئه العقيدة دون عمل تشملها الآيات الواعدة سيئي العقائد النار، أم هي داخلة في ﴿عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ شمولاً لأعمال القلوب والقوالب، وليست النية عملاً، بل هي نية العمل، يثاب على حسنتها دون سيئتها، ثم ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ حصر لجزاء السيئات على قدر الأعمال، فنفس العمل السيّىء هو جزاؤه إذ يبرز بحقيقته يوم تبلى السرائر، وليس غير المحدود صورة واقعية للسيئة المحدودة إلّا مزيداً غير محدود وهو ظلم ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[2]!

ثم ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ . . .﴾ تحدد موقف الحسنة والسيئة أنه حين المجيء إلى عالم الجزاء، فالحسنة - إذاً - هي عاقبة الحياة الحسنة، مهما كانت سابقتها أيضاً حسنة أم سيئة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾:

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ هو الفرض الرسالي تلقياً لوحيه وتفهماً له وتطبيقاً بنفسه وتبليغاً للمرسل إليهم، وقد ذكر من فرضه عليه تلاوته ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ . . .﴾[١] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[٢] ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

ولأن القرآن هو الوحي الأخير الشامل كافة المكلفين إلى يوم الدين، ففرضه الرسالي البلاغي هو البلوغ إليهم أجمعين، وبأحرى منزل وحيه الأول أم القُرى فإنها عاصمة الدعوة القرآنية.

ثم ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وهذه آية منقطعة النظير في صيغة الفرض والرد إلى معاد، مما يضخِّم أبعاد رده ﷺ الموعود إلى معاد، فما هو «معاد»؟

أتراه معاد الآخرة إلى الجنة[٤]؟ ولم يكن فيها حتى يرد إليها! والصيغة الصالحة له «الجنة» دون «معادٍ» منكراً، ولا حتى «المعاد» معرفاً، لأنها اليتيمة التي تحمل لفظ «معاد» دون سواها من كلِّ آيات المعاد!

أم هو الموت[٥]؟ ولم يَك ميتاً حتى يرد إلى الموت! ولا يخصه ذلك الرد الممنون فيه عليه! ثم ولا منة في الموت ما دامت الحياة الدنيا مدرسة الآخرة!.

أم هو الرجعة أيام المهدي القائم عجل الله تعالى فرجه[٦]؟ ولا يناسب خصوصَها المَقامُ ولا الطمأنة الحاضرة لخاطره الخطير عن بأس المشركين!

---

(١) سورة النمل، الآية: ٩٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٤) الدر المنثور ٥: ١٤٠ - أخرج الحاكم في التاريخ والديلمي عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: ٨٥] قال: الجنة.
(٥) المصدر - أخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: الموت.
(٦) نور الثقلين ٤: ١٤٤ عن تفسير القمي حدثني أبي عن حماد عن حريز عن أبي جعفر عليه السلام=

أم هو الرجوع إلى مكة المكرمة[١]، رداً إليها بعد هجرية؟ والسورة مكية ولما يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة!.

﴿مَعَادٍ﴾ هنا كأصل في الموعود ردُّه إليه هو في الحق مكة المكرمة، وقد نزلت الآية في غضون هجرته عنها إلى المدينة، بالغَ الحجفة أم دونها أم ولمّا يخرج من الغار، إذ تكفي في نزولها حالةَ الهجرة، ثم وجو السورة المستعرضة قصص موسى ومن أهمها رجوعه إلى ﴿مَعَادٍ﴾ الدعوة الرسالية «مصر» يناسب وعد هذا الرسول ﷺ برده إلى معاد الدعوة الرسالية وهو مكة المكرمة، فكما خرج موسى من مصرها رباً مطارَداً يترقب، كذلك الرسول محمد ﷺ، وكما وعد موسى أن يرد إلى معاد الدعوة كذلك الرسول ﷺ فامض يا رسول الهدى في مهجرك، ودع أمر الحكم فيما بينك وبين قومك لله الذي فرض عليك القرآن، وانما سمي مكة معاداً لأنه مكان العود، وعدٌ محتوم في ذلك الرد لحدّ يسمى مكانه «معاد» كما ومكة معاد لكل مسلم على مدار الزمن، أخذاً من رسالتها المحمدية وعوداً إليها.

كما وهي معاد الحج وميعاده.

= قال: إنه سئل عن جابر فقال: رحم الله جابراً بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية يعني الرجعة وفيه عنه حدثني أبي عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن عبد الحميد الطائي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام في الآية قال: يرجع نبيكم ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم.

(١) الدر المنثور ٥: ١٣٩ - أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: ٨٥] إلى مكة وفيه أخرج ابن مردويه عن علي بن الحسين بن وائد قال: كلّ القرآن مكي أو مدني غير قوله: إن الذي فرض... فإنها أنزلت على رسول الله ﷺ قبل الهجرة فهي مكية نزلت بمكة أو بغيرها من البلدان، وكل آية نزلت بالمدينة بعد الهجرة فإنها مدنية نزلت بالمدينة أو بغيرها من البلدان.
أقول: وقد أخرج إلى مكة في تفسير إلى معاد عن ابن عباس ومجاهد.

فـــ ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾[1] كذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾.

ذلك تفسير رده إلى معاد ومن تأويله رده بعد موته إلى معاد الرجعة، فكما ﴿مَعَادٖۚ﴾ إلى مكة المكرمة كان له فتحاً مبيناً، كذلك معاد الرجعة حيث الدولة الأخيرة الإسلامية العالمية، وقد رُدَّ إليه معه ﷺ عترته المعصومون وسائر النبيين وكل من محض الإيمان محضاً، كما يرد إليه كلّ من محض الكفر محضاً، وقد يعود في معاد رجعته إلى معاد هجرته فهما معاً - إذاً - مكان عوده قبل مماته وبعده، وقد يعني تنكير ﴿مَعَادٖۚ﴾ جنسه الشامل لمعاد الدعوة ومعاد الرجعة ومعاد القيامة، والرد إلى الأخير اعتباراً إلى لقاء الله فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[2] فلو عنى واحدة من هذه لعرِّف: «المعاد».

فـ ﴿قُل﴾ على أطلال تلك البشارة السارة بكل قوة وسداد، لهؤلاء الذين كفروا بك وأنكروك وأخرجوك ﴿رَبِّيٓ﴾ الذي رباني لهذه الرسالة القرآنية المفروضة عليّ ﴿أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وذلك لائح من التربية الرسالية الباهرة فيّ، وهو ﴿أَعۡلَمُ... وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وقد يبين ذلك في «معاد» مكة و«معاد» الرجعة، ثم في «معاد» يوم القيامة!.

ذلك رجاؤك بما نعدك غير مكذوب، كما وألقينا إليك الكتاب ولم تك ترجوه:

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾:

ما ﴿كُنتَ تَرۡجُوٓاْ﴾ حيث المعدات - المتعوّدة العلمية لتلقّي ذلك العلم القمة - منفية، ومكة بلدة جاهلة قاحلة، والفترة البعيدة الرسالية، وقومك

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

اللّد ضد الرسالة، هذه وأضرابها مما تقطع الرجاء عن إلقاء ذلك الكتاب الكافل للدعوة العالمية في الطول التاريخي بالعرض الجغرافي.

و﴿أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ دون أن ينزل، لمحة أخرى إلى عدم الرجاء، حيث المُلقى إلى مكان قد تُلغى فيه ظرفية المكان، وكل ذلك اليأس هو قضية الحالة الظاهرة، ولكنما الهالة الباطنة الزاهرة، كانت تتطلَّب تلك الرسالة الباهرة، فـ «ما كنت»... ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ حيث رباك تربية خفية حفية لتلك الرسالة البهية، ليناسب منزل الوحي نازله، مهما لم يكن يرجوه صاحب المَنزِل.

و﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ استثناء متصل إذ كانت رحمة ربه له مرجوة، عائشاً بين «ما كُنْتَ تَرْجُوا» كنفسه بظروفه آفاقية وأنفسية مهما كان بالغ القمة المعرفية، وبين ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ إشراقة رحيمية من ربه الذي رباه لهذه الكرامة الكبرى والدرجة العليا، فجملة القول في هذه الآية هي الحالة العوان لرسول الهدى بين الخوف والرجاء!

إذاً فلم يكن الرسول ﷺ يتطلع إلى الرسالة، فإنها اختيار الله له كما لسائر الرسل، حيث المعرفة مهما كانت قمة لا تتطلب بمفردها الانتصاب للرسالة، فهي رحمة من الله و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] رحمة غالية عالية توهب للمتأهلين كما يعلم الله ويختار، دون المتطلعين، وقد اختار للرسالة الأخيرة من لم يتطلَّع إليها، بل ولم يَرجُها، أو لَم يَرَ نفسه مستأهلاً لها تطامناً لله واتكالاً على رحمة الله؟.

أو كان يرجوها ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الذي رباك تربية تؤهلك لهذه الرسالة السامية، رجاءَ رحمة من ربك، وعدم الرجاء اعتبار بنفسك كأحد من الناس مهما كنت بالغ العقل والزهادة!.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

إذاً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ كما لم يكن ولن، وإنما ذلك النهي إعلان على رؤوس الأشهاد في هذه الإذاعة القرآنية استئصالاً لآمال الكافرين أن يظاهرهم أو يماريهم، بل هي مفاصلة دائبة، أم مواصلة بالحق المبين والدين المتين، دون تقسيم للبلد بلدين، بانقسام الدعوة شطرين.

وهنا صلة وثيقة بين ما ﴿كُنتَ تَرْجُوٓاْ...﴾ وبين ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إن عدم الرجاء في إلقاء الكتاب أولى من عدمه في رده إلى معاد، وهنا وعد دونما هناك فلترجُ ما وعدناك من ردك إلى معاد، أكثر مما لم نكن نعدك من إلقاء الكتاب، ولتعش رجاء رحمة من ربك دون تلكُّع ولا تزعزع مهما عارضك العالمون، فموسى الذي قتل القبطي خطأً خلَّف عليه تأخُّر الرسالة والبُعد عن معاد الدعوة، رددناه إليه رسولاً، فأنت الذي ما أخطأت طول عمرك في أيٍّ من أمرك، أقرب إلى الرسالة إلقاء للكتاب عليك، وأقرب إلى ردك إلى معاد الدعوة، وهذه نعمة لك عظيمة تتطلَّب ألّا تكون ظهيراً للكافرين، وكما موسى ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[1].

وهنا الله بما أنعم على محمد ﷺ إلقاءَ الكتاب والردَّ إلى معاد، يتطلب إليه ما تستحكم به عرى الدعوة الرسالية، لا جزاءً فإنه غير مفتاق إلى جزاء، وإنّما تنمية للدعوة المحضرة للعالمين، فهنا نجده في خماسية الطلبات الربانية كدعامات خمس لهذه الدعوة الوامضة الناهضة الباهظة: هي سلبيات أربع بإيجابية واحدة ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[2] حيث الدعوة الصالحة إلى الرب تتطلب هذه السلبيات قبلها لتستحكم عراها وتُحمى حماها.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ

(١) سورة القصص، الآية: ١٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٦٧.

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾:

مواصلة واحدة ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ تتقوم بمفاصلات أربع، وهي تتوسطها هنا، وفاعل ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ هو كونه - وعوذاً بالله - ظهيراً للكافرين، كخلفيّة أولى لذلك الظهر الظهير، أن يصده عن آيات الله، في أي حقل من حقولها، والتأكيد في ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ يؤكد النهي عن كونه ظهيراً لهم، أن يتهاون في تلقي الوحي وإلقائه، بإلغائه عن فاعلياته، أم يتهاوى بما يكذبونه فيه أنه سحرٌ أو جِنَّة أم كهانة أما هيه؟.

ثم ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أمر بالمُضيِّ الصارم في دعوته الناصعة الناصحة، بعيدة عن كافة النزعات والانتزاعات والرغبات إلّا إعلاء كلمة الله العليا، وإلغاء كلمة الذين كفروا السفلى، ثم ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله على أية حال، وإن شركاً خفياً كدبيب النمل، فإنه يقصم ظهر الداعية، ويفصمه عن صالح الدعوة.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مهما كان مصلحياً لاجتذاب المشركين كما اقترحوه عليه: «اعبد آلهتنا سنة نعبد إلهك سنة» فنزلت سورة «الكافرون» ثورة قاصمة على ازدواجية الدعوة ومصلحيتها، فـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في كلّ شؤون الألوهية، و:

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ...﴾: إذ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

والشيء هو الكائن أياً كان، إلهاً ومألوها، إذاً فالله شيءٌ كما الخليقة كلها أشياء، وإن كان الشيء الله هو الذي شيَّأَ سائر الأشياء، وبين شيءِ الله وسائر الشيء تباين كلي، لا مشاركة بينهما إلّا في لفظة الشيء وأصل

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

الوجود، دون أية مشاركة في ذلك الأصل، فالأشياء المخلوقة كلها خِلوٌ عن شيءِ الله ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً، كما الله تعالى خلوٌ عنها في مثلث الجهات، فـ «هو خلوٌ من خلقه وخلقه خلوٌ منه» - «باينٌ عن خلقه وخلقه باين منه» - «لا هو في خلقه ولا خلقه فيه» كما: لا هو من خلقه ولا خلقه منه: مباعضة ذاتية أماهيه؟.

وترى «وجهه» هنا تعني الجارحة؟ وهي تأويلة عليلة جارحة كيان الربوبية، إنه يهلك - وعوذاً به - بسائر أجزائه كسائر الكون إلّا وجهه! مهما أوّل أنه وجه جارحي لا كسائر الوجوه، حيث الجارحة لله جارحةٌ ألوهيتَه على كلّ الوجوه، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فلا تركّب له حتى تكون له جوارح وسواها من أجزاء وحدود متركبة فـ «من المحال أن يهلك منه كلّ شيء ويبقى الوجه»[2]!، لـ ﴿وَجْهَهُۥٓ﴾ هنا وجهان ثانيهما وجه كلّ شيءٍ المتجه إلى الله، رجوعاً لضمير الغائب إلى الحاضرِ الذكر وهو ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾ فالهلاك شامل كلّ شيءٍ، إلّا وجهه المواجِه المتّجه إلى الرب، فإنه باق ببقاء الله بإذنه ورحمته، كالربانيين من السابقين والمقربين وأصحاب اليمين، والجنة بأهلها، فلا هلاك كلّياً لهم ولها[3].

ثم وفي الوجه الأوّل لا وجه لوجه الجارحة، فإن لكل شيءٍ وجهاً

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) نور الثقلين ٤: ١٤٥ في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: وأما قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨] فالمراد كلّ شيء هالك إلّا دينه، لأن من المحال أن يهلك منه كلّ شيء ويبقى الوجه، هو أجل وأعظم من ذلك وإنما يهلك من ليس منه ألا ترى أنه قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٦-٢٧] ففصل بين خلقه ووجهه، وفيه عن التوحيد عن أبي حمزة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]؟ قال: يهلك كلّ شيء ويبقى الوجه؟ إن الله أعظم من أن يوصف بالوجه، ولكن معناه: كلّ شيء هالك إلّا دينه والوجه الذي يؤتى منه.

(٣) راجع إلى تفسير آية ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] في الفرقان ج ٢٧.

يناسبه، وهو في الكل ما يواجَه به ويواجِه، والله يواجِه الكائنات علماً وقدرة، ويواجَه معرفياً وعبودياً، والوجه الوجيه هنا لوجهه هو ذاته بصفاته ذاتية وفعلية، والروحانيون الذين يواجهونه حياتَهم معرفياً وعبودياً.

فاختصاص ﴿وَجۡهَهُۥٓ﴾ هنا بذاته يقتضي تبديل وجهه بذاته، فإنها صريحة في ذاته، ووجهه غير صريح، كما اختصاصه بغير ذاته إدخال لها ضمن الهالكين، أن ذاته يهلك وسائر وجوهه تبقى!.

إذاً فـ ﴿وَجۡهَهُۥٓ﴾ تعم ذاته كقمة الوجوه، إلى متعلقاتها الربانية ذاتياً وخارجياً، ومن الثاني دينه[1] والدعاة إليه، فإنهم وجه الله الذي يُتوجه بهم إليه، وكما يروى «نحن وجه الله الذي لا يهلك»[2] وكما أن المتجهين إلى الله بهم، هم من وجهه[3] والإضافة في ﴿وَجۡهَهُۥٓ﴾ تختلف حسب مختلف مصاديق الوجه، ففي وجه الذات هي من إضافة الشيء إلى نفسه، وفي وجه صفات الذات هي إضافتها إلى الذات، وفي وجه الدعوة والدعاة، هي إضافة الفعل إلى مصدره، فإنهم صادرون عن الله فموجَّهون إلى الله! فالمتخلفون عن الله هم هالكون في حياتهم وبعد موتهم وإلى النار حيث

(١) المصدر عن التوحيد بإسناده إلى خيثمة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الآية قال: دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده ولسانه الذي ينطق به ويده على خلقه ونحن وجه الله الذي يؤتى منه ولن نزل في عباده ما دامت لله فيهم روية، قلت: وما الروية؟ قال: الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه وصنع ما أحب.

(٢) نور الثقلين ٤: ١٤٦ عن كتاب التوحيد بإسناده إلى صفوان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: . . .

(٣) المصدر عن التوحيد بإسناده إلى الحارث بن المغيرة النصري قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥٓ﴾ [القصص: ٨٨]؟ قال: كلّ شيء هالك إلّا من أخذ طريق الحق، وفي محاسن البرقي مثله وفي آخره: من أخذ الطريق الذي أنتم عليه، وعن التوحيد بإسناده إلى صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: من أتى الله بما أمر به من طاعة محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذي لا يهلك ثم قرأ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾.

تهلك ومن فيها، والمتجهون إلى الله باقون وإن ماتوا فإنهم في الجنة باقون كما هي دون نهاية.

هذه وجوه وجيهة من ﴿وَجۡهَهُۥٓۚ﴾ هنا مهما اختلفت درجاتها، فوجه الذات لن يتغير ولن يهلك بأي هلاك[١] كما صفاته الذاتية، وصفاته الفعلية وهي أفعاله لن تهلك مهما تغيرت كما يشاء بحكمته، ودينه لا يهلك، مهما تبدلت شرائعه، والدعاة إليه لن يهلكوا مهما ماتوا أو قُتلوا.

و﴿هَالِكٌ﴾ لا تعني - فقط - مستقبل الهلاك حين تَهلك النار بمن فيها، بل والحال على أية حال، وهو عبارة أخرى عن البطلان، فهو هلاك الكون والكيان، ولكن «وجهه» لا هلاك له كوناً ولا كياناً، مهما طرأه موت أو تغيّر آخر في غير وجه الذات والصفات.

ثم ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ تكويناً وتشريعاً لا سواه ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ لا إلى سواه.

والمرجع للضمير الأوَّل هو وجه الذات أصلياً، ووجوه الدعاة إليه رسالياً وبلاغياً، فإنهم الحكام من قبل الله، وأما الثاني فلا مرجع له إلّا الذات، إذ لا رجوع إلّا إلى الله، اللهم إلّا للدعاة المعصومين أيضاً لأنهم موازين الأعمال ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾[٢]، فهنالك رجوع إلى كتب الشِّرعة وأئمتها كموازين للأعمال والعقائد، والمرجع الأصيل هو الله.

---

(١) المصدر في أصول الكافي عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن فضيل بن عثمان عن ابن أبي يعفور قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣]. . وقلت: أما الأول فقد عرفناه وأما الآخر فبين لنا تفسيره. فقال: إنه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغير أو يدخله الغير والزوال وينتقل من لون إلى لون ومن هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان إلى زيادة إلّا رب العالمين فإنه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، هو الأول قبل كلّ شيء وهو الآخر على ما لم يزل ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة ومرة لحماً ودماً ومرة رفاتاً ورميماً، وكالبسر الذي يكون مرة بلحاً ومرة بسراً ومرة رطباً ومرة تمراً فتتبدل عليه الأسماء والصفات والله عز وجل بخلاف ذلك.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧١.